مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٨/١/٦

لم يذهب للقـدس .. لأجـل جائـزة نوبل !

« لقد حدث تقدم فى موضوع الانسحاب ، ولكن خلافنا لايزال اســـاسيا حـول القضية الفلســطينية ، والـواقع ان الاسرائيليين لم يتخـذوا بعـد القـرارات التى كان عليهم أن يأخذوها .. ولكن اتفاقنا على استمرار قوة الـدفع لا يزال قائما .. وثمة آمال فى ان نتمكن من اصدار بيان بأسس التسوية الشاملة خلال شهرين اوثلاثة »بهذا لخص السـادات حصيلة مباحثات الجلسات الاربع التى جرت فى الاسـبوع الماضى مع منـــاحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل ...

هل يمـكن أن يتبع الاتفاق بالفعل على اسس التسوية الشـاملة خـلال شهرين أو ثلاثة .

لقد كان العالم ينتظر ، وقوع الحدث الكبير ، ليلة عيد الميلاد ، ولكن الامر

تمخض عن موقفين ، بهما من عناصر الخلاف ، اكثر مما بهما من عناصر الاتفاق .

□ لم تزل المسافة واسعة ما بين الحكم الذاتى الذى يريده بيجين للفلسطينيين ، وحق تقرير المصير ، الذى ينشده السادات .

□ لم تزل المسافة واسعة ما بين المفهوم الاسرائيلى ،، والمفهوم العربى للامن ، الاسرائيليون يصرون على ترتيبات عملية يقع معظمها فى الدائرة العربية من أجل أمن اسرائيلى مطلق ، ولكنهم لا يريدون التسليم بأية ترتيبات مقابلة تقع فى الدائرة الاسرائيلية من أجل أمن عربى نسبى ! يتحدثون عن بقاء الاستيطان فى الاراضى المحتلة ! وعن خفض من جانب واحد للقوات ! وعن مناطق منزوعة للسلاح على الجانب العربى دون الجانب الاسرائيلى ! وعن حق واسع لليهود فى شراء أراضى الضفة وغزة ! وقيود صارمة على عودة الفلسطينيين من الشتات !

□ لم يزل بيجين يرى ان حرب ٦٧ — « الدفاعية » على حد تعبيره — تعطيه المبرر الكافى للاستحواذ على جزء من الارض العربية ، وتخليه من أية مسئولية سياسية أو اخلاقية ، ازاء مبادىء القانون الدولى ، التى تؤكد على عدم جواز ، احتلال أراضى الاخرين بالقوة.

ان بيجين يرى مع كل هذه المعضلات التى يزرعها على طريق السلام ، أن كل شىء قابل للتفاوض عدا تدمير اسرائيل ، تلك ايجابية لا ينبغى اغفالها اذا اضفنا الى ذلك ، اعترافهم المسبق داخل مجلس الوزراء الاسرائيلى بعودة سيناء الى مصر ضمن حدودها الدولية المعروفة .

ولكن هل يمكن بالفعل أن تسهم الشهور الثلاثة القادمة فى حل هذه المعضلات ، بالتفاوض ، خلال اجتماعات اللجنتين العسكرية والسياسية ، على حين لم تجد هذه المعضلات حلها الامثل فى لقاءقمة مابين بيجين والسادات واذا كان الاسرائيليون يحتاجون الى المزيد من الوقت لاتخاذ قراراتهم « الصعبة » فهل تكفى فترة الشهور الثلاثة؟

اغلب الظن ، أن نشاطا سياسيا واسع النطاق ، سوف يصاحب ، إجتماعات هاتين اللجنتين ، نشاطا يدور فى فلكهما الخارجى ، ولكنه يصب نتائجه فى تلك الاجتماعات .

مستقبل الدور الامريكى فى المرحلة القادمة

□ على مستوى القمة، ثمة احتمال بأن يجلس السادات وكارتر لمباحثات مكثفة فى أسوان تستمر ٣ ساعات ، من أجل الاتفاق على مفهوم أكثر ايجابية لطبيعة الدور الامريكى فى المرحلة الراهنة من الازمة ، ولقد كان الدور الامريكى محدودا فى البداية بعوامل عديدة :

اولها : انه فى غياب التفاوض المباشر ، حصر الامريكيون دورهم فى مهمة الوسيط ، الذى يتمتع بثقة الطرفين، وينقل فقط وجهة نظر كل منهما الى الاخر . ولم يرتق الدور الامريكى خلال هذه الفترة حتى الى دور « العامل المساعد » الذى يحبذ وينند ويختار لتأييده المواقع الايجابية هنا أو هناك ، أما وقد وقع التفاوض المباشر ، فان الدور الامريكى ينبغى أن ينتقل خطوة الى الامام ، خطوة تساعد الطرفين على اجتياز المسافة التى تفصل ما بين مواقفهما .

ثانيا : انه فى غياب التفاوض المباشر ، كانت جماعات الضغط الصهيونى فى الولايات المتحدة الامريكية ترى أن أى محاولة لتوسيع الدور الامريكى فى الازمة ، سوف تنتهى الى ممارسة نوع من الضغط والتأثير المباشر على الارادة الاسرائيلية ، وكانت السياسة الامريكية ازاء مشكلة الشرق الاوسط ، بسبب جماعات الضغط ودورها ، تتقدم خطوتين الى الامام لكنها لاتلبث ان تتراجع فى خطوة منهما الى الخلف وعندما بدأت اختبارات القوة ما بين الادارة الامريكية وجماعات الضغط — أثر انتهاء مباحثات كارتر مع الاطراف المعنية فى سبتمبر الماضى — لم يملك الرئيس كارتر من أن يعلن « أن أى محاولة لفرض التسوية الان على اسرائيل تشكل فى النهاية نوعا من الانتحار السياسى » .

وربما يكون السادات قد اتخذ قرار مبادرته وهو يطير فوق جبال الاناضول ، ما بين رومانيا وايران ولكن الامر المؤكد ، أن العامل الاساسى وراء هذا الاختيار انما تمثل فى تجربة سبتمبر ، لقد أراد السادات أن يسقط كل حجج جماعات الضغط ، ليفسح الطريق أمام دور أمريكى أكثر فعالية فى الازمة ، ويعطى كارتر الارضية الصالحة حتى تمارس الولايات المتحدة ، دورها فى بناء السلام العالمى ، دورا متحررا من أية قيود أو بواعث داخلية ومن هنا يأتى اصرار السادات على أن الاوزاق لم تزل فى أيدى الامريكيين ، وأن دورهم القادم فى التسوية أكثر ضرورة خلال التفاوض المباشر .

ليس فقط لاجل جائزة نوبل

لا نظن أن الامريكيين يجهلون ذلك ، ولا نظن أيضا أنهم يتصورون أن السادات قد ذهب الى القدس من أجل أن يكون موضوع الغلاف فى الصحف الامريكية ، أو أن يحصل على جائزة نوبل ، لقد ذهب السادات الى القدس ليساعد اسرائيل على اتخاذ القرار ، ان كانت تنوى اتخاذه ، وليساعد قبل ذلك الرئيس الامريكى على ممارسة دوره فى التسوية دون أن يكون فى ممارسة هذا الدور شبهة الانتحار السياسى .

ثالثا : أن على الامريكيين الان ، أن يفرقوا بين الضمانات العملية ، والمتطلبات الحقيقية لامن اسرائيل وذلك ما توافق مصر عليه وبين ذرائع اسرائيل من أجل استلاب ارادة الاخرين وأرضهم

أما تلك الحجج الواهية التى لم يكف الاسرائيليون عن اثارتها سواء خلال حرب ٦٧ أو بعد حرب ٧٣ ، من أن طاقة الامداد الامريكى لم تكن قادرة على الوفاء العاجل بمتطلبات اسرائيل من السلاح ، خصوصا بعد اجتياح خطوطهم المفاجىء ، هذه الحجج تدخل فى نطاق الذرائع والدعاية ، بأكثر من أن يكون لها سند فى الحقيقة ، ان العالم كله يعرف ، أن ما وصل عبر جسر الامدادات لاسرائيل مهول وضخم ، وبيجين نفسه ، كان يقول بالامس القريب ، أن سماء اسرائيل قد أصبحت جد مزدحمة ، ولم يعد فيها مكان لطائرة قتال جديدة ،

والتقارير الامريكية ذاتها تؤكد أن السلاح المكدس فى مخازن اسرائيل يكفيها ٦ أسابيع متصلة من القتال على كل الجبهات !

ولم يعد سرا ، أن مصر لن تعترض فوق كل ذلك — اذا ما عاد الاسرائيليون الى حدود عام ٦٧ — على أية ضمانات قد تمنحها لهم الولايات المتحدة الامريكية بما فى ذلك اقامة قاعدة أمريكية بحرية فى حيفا ، وقاعدة برية فى بئر سبع وذلك يكفى أمن اسرائيل ويزيد .

كما أنه لم يعد سرا أيضا أن حرب ٦٧ ، لم تكن عدوانا عربيا ، بقدر ما كانت فخا اشترك فى نصب كمائنه ، المخابرات الاسرائيلية والامريكية فى عهد الرئيس الامريكى جونسون ، بعد أن نجحانى نسف بدايات التفاهم الامريكى المصرى على عهد كيندى : وللاسف ، فلقد وقعنا فى الكمين الذى تم تدبيره بعناية بايجاد الظروف المواتية للحرب فى المنطقة ودراستهم لرد الفعل المصرى المتوقع .

ان تصة تصف الاسرائيليين لسفينة التجسس ليبرتى ، شرق المتوسط ، يوم ٨ يونيو ، قد فضحت الخطط الاسرائيلية الامريكية المشتركة — يومها — لتوريط مصر فى معركة معروفة نتائجها مسبقا

من هنا ، فان الدور الامريكى يستطيع بالفعل فى المرحلة القادمة ، اذا تجاوز دور الوساطة المحدود أن يكون أكثر فعالية فى سلام المنطقة .

بحثا عن أولويات عربية عاقلة

□ على المستوى القومى ، لابد من خطوة جديدة على طريق

المبادرة المصرية ، من اجل زيادة حرج الموقف الاسرائيلى .

اذا ما استطاع العرب أن يفهموا هذه الحقيقة ، وان يرتبوا اولوياتهم ترتيبا عاقلا فان عليهم أن يحفزوا الملك حسين الى الانضمام الفورى لمباحثات التسوية ، كما أن عليهم أن يحفزوا الفلسطينيين ، الى تفاهم أكثر جدوى مع الاردن ، لان القضية لم تزل بعد تحرير الارض المحتلة ، وليست مصير الاراضى المحررة ! .

ولكن أى عرب يفعلون ذلك !

ان خريطة المواقف فى العالم العربى ينبغى أن تكون أكثر وضوحا ، فالامر لم يعد يحتمل أى وجود رمادى بين قوى السلام وقوى الرفض ، هذا الوجود الرمادى الذى تركن له الان دول البترول — السعودية والخليج — انتظارا للمجهول لم يعد هناك ما يبرر استمراره ، الا ان يكونوا راغبين فى عودة القسمة الى العالم العربى !

لماذا اذن لا تسهم السعودية ودول الخليج فى هذا المجال ؟

ان كارتر يرى الحل فى كيان فلسطينى مرتبط بالاردن ، والسادات يرى الحل فى دولة فلسطينية ترتبط مع الاردن ، وعرفات نفسه ، لم يكن ليمانع ، كان يعلن ضرورة هذا الارتباط ولكنه كان يختلف فقط فى التوقيت ، كان يرى أن تقوم الدولة الفلسطينية أولا ، ثم يكون ارتباطها مع الاردن

فلماذا اذن لا يتم حسم هذه القضية ، بين العرب وأنفسهم ، قبل مواجهة الاسرائيليين ..

العالم كله يسأل هذا السؤال ، والسعودية ودول الخليج غارقتان فى صمت الانتظار ، يبثان العواطف والتشجيع فقط ، من تحت لتحت .

لابد من دور عربى ايجابى خلال هذه الشهور الثلاثة ، حتى تغلق كل مسالك الهرب امام صلف الاسرائيليين ، ولا بد لهؤلاء الرماديين من أن يكونوا أكثر وضوحا .

ان الشواهد كلها تؤكد امكانية حدوث ذلك .

فالملك حسين لم يكن لديه ذات الموانع على المبادرة المصرية ولم يكتم الرجل رأيه فى الموضوع ، والسعودية لم تزل على علاقة مؤثرة بالفلسطينيين ، وكانت الجزيرة والخليج هما وجهة الابد الاولى بعد تورطه فى طرابلس .

أوسع وحدة ممكنة للفلسطينيين

المهم أن يخرج الفلسطينيون من حالة البؤس العقلى التى تسود رؤاهم وان يدركوا طبيعة التقدم ، الذى طرأ على القضية الفلسطينية .

قبل سنوات محدودة ، فقط ، كنا نرفع جميعا شعار ازالة اثار العدوان، وكان هناك شبه اتفاق على أن العمل الفدائى الفلسطينى ، ينبغى أن يكون خارج اطار اية تسوية سياسية محتملة خلال هذه المرحلة، وان يكون انقاذ الشعب الفلسطينى المحتجز تحت حراب الاسرائيليين هو الهدف الاول ، وأن تكون سلطة المنظمة فى ترتيب لاحق مادامت ستقوم على أى جزء يتم تحريره من الارض التى جرى احتلالها بعد ٦٧ ! .. ولم نكن نسمى ذلك استبعادا للفلسطينيين !

استطاعت حرب ٧٣ ، أن تدفع المسائل قدما ، واستطاعت حركة الفلسطينيين فى اطار الشرعية الدولية أن تكسب للقضية أبعادا جديدة ، ولم يعد الامر ، فقط ، مجرد القناعة بازالة آثار العدوان وانما تعداه الى حد أصبحت فيه القضية الفلسطينية هى جوهر الازمة .

والامر المؤكد ، أن التيار العقلانى فى الثورة الفلسطينية قد أسهم فى خلق هذه الحقائق الجديدة ، التى تؤكد الان ضرورة حق تقرير المصير للفلسطينيين .

قد تبدو الحقيقة مؤلمة وصعبة ،ولكن حتى يظفر الفلسطينيون بحق تقرير المصير ، فلابد ان يلتف حول هذا الهدف ، أوسع وحدة وطنيه فلسطينية ممكنة ، وحدة وطنية ، تبدأ — على حد تعبير فلسطينى سابق — من الشيخ جعبرى شيخ الجليل أو ابنه الان الى ياسر عرفات رئيس المنظمة .

بعبارة أخرى ، على الفلسطينيين أن يخرجوا انفسهم من لعبة تناقضات الانظمة ، وأن يوحدوا نضالهم من أجل حق تقرير المصير ، الذى ينبغى أن يكون هدفا لحملة اقناع عالمية واسعة تضع الاسرائيليين أمام الاختبار الحاسم .

□ ربما يتم ذلك كله — أو بعضا منه — خلال الشهور الثلاثة القادمة ، ولكن لا ينبغى للعالم أن يمسك بالايدى العربية ، وهى تغتال فكرة السلام ، فلندع تلك المهمة للاسرائيليين الذين مازالوا يراهنون على حسابات خاطئة.

يراهنون بالخطأ على أن الاعشاش قد خلت تماما فى الجانب المصرى من الصقور ، وأن المصريين جميعا قد أصبحوا حمائم ، لم يفطنوا بعد لطبيعة هذا الشعب ، الذى يستطيع أن يتجاوز دائرة القسمة التقليدية الى وحدة ،يكون فيها الشعب باكمله صقورا أو حمائم

ولعل أخطر ما صنعه السادات فى مصر ، خلال مبادرته ، أنه فتح عيون المصريين جميعا ، على تجربة حسيه

وملموسة انتظارا لاكتشاف حقيقة الهوية الاسرائيلية ، وهل تريد اسرائيل بالفعل السلام .

يراهنون خطأ على أن ميراث ٣٠عاما من الثورة العربية ، قد ضاع هباءواندثر وأن العرب . قد يزدردون فى النهاية تحت شعار التسوية ، ما يمكن أنيمس الارادة أو السيادة أو الحفاظ على الارض ، يخطىء الاسرائيليون الرهان، اذا لم يبصروا ، كم تكلف العرب ، كم تكلفت مصر ، من أجل أن تشيع فى العالم المغبون كله حق تقرير المصير ، فكيف اذا ما كان الامر يتعلق بهم .

يراهنون بالخطأ على أنه يمكن اخفاء شعب باكمله ، خلف ترتيبات موقوته للامن ، ونوايا فى استلاب حقوق الاخرين لم تمت بعد ، أو تذرعا بشطط فلسطينى موقوت .

ان الشهور الثلاثة القادمة ، لابد أن تشهد تحولا داخل اسرائيل تجاهالقرارات الشجاعة ، تجاه أفاق سلام عادل ومتكافىء . قد يستغرق الامر بعض انوقت ، ولكن الامر المؤكد أن عام ٧٨ سوف يكون عام القرار ■

مكرم محمد أحمد

الرئيس السادات

الرئيس كارتر

مناحم بيجين

الملك حسين

الملك خالد